المفردة القرآنية وأثرها في بناء الوعي الهويّاتي للأمة- دراسة تحليلية في ألفاظ (الأمة – القوم – الناس)

م.م. ريا قيصر علي الفتلاوي جامعة القادسية -كلية التربية

Raya.alfatlawi@qu.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث دلالات المفردات القرآنية: الأمة – القوم – الناس، وأثرها في بناء الوعي الهويّاتي للأمة الإسلامية. يبرز البحث كيف ساهم لفظ الأمة في ترسيخ الانتماء الديني والوحدة الجماعية، بينما أسهم لفظ القوم في تعزيز الهوية الاجتماعية والقومية من خلال الانتماء المشترك بالدم أو المكان أو الدين. أما لفظ الناس، فقد أسس للبعد الإنساني الشامل، مؤكداً المساواة والحقوق المشتركة بين جميع البشر. كما يستعرض البحث السياقات القرآنية لكل لفظ، ويبين دورها في تشكيل الوعي الجمعي والفردي، وربط الانتماء الخاص بالهوية العامة للأمة. وتظهر الدراسة أن هذه المفردات ليست مجرد ألفاظ لغوية، بل أدوات لصياغة الهوية الدينية والاجتماعية والإنسانية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الأمة، القوم، الناس، الهوية القرآنية، الانتماء الجماعي، البعد الإنساني، الوعي الهويّاتي.

Abstract:

This study examines the meanings of the Qur'anic terms "Ummah" – "Qawm" – "Nas" and their impact on shaping the identity consciousness of the Islamic community. The research highlights how the term "Ummah" reinforces religious belonging and collective unity, while "Qawm" contributes to strengthening social and national identity through shared lineage, place, or faith. The term "Nas", on

the other hand, establishes a comprehensive human dimension, emphasizing equality and common rights among all people. The study also explores the Qur'anic contexts of each term, demonstrating their role in forming both collective and individual awareness, linking specific group belonging to the general identity of the community. The findings show that these terms are not merely linguistic expressions but tools for shaping religious, social, and human identity alike.

Keywords: Ummah, Qawm, Nas, Qur'anic identity, collective belonging, human dimension, identity consciousness.

المقدمة

يمثل القرآن الكريم المرجعية الفكرية والتشريعية العليا للمسلمين، وهو النص المؤسس لهويتهم العقدية والاجتماعية والحضارية. ولما كانت اللغة أداةً جوهرية في صياغة الوعي، فقد شكّلت المفردة القرآنية لبنة أساسية في بناء إدراك الإنسان لذاته وعلاقته بجماعته ومجتمعه والإنسانية جمعاء، فالقرآن الكريم لم يستخدم الألفاظ استخداماً اعتباطياً، بل جاء توظيفه لها محكماً، حيث تراوحت دلالاتها بين الدقة اللغوية والعمق الدلالي الذي يفتح آفاقاً واسعة لفهم الهوية والوعي الجمعي.

ومن بين المفردات القرآنية التي تحمل شحنة دلالية كبيرة في مجال بناء الهوية مفردات: الأمة، القوم، الناس. فكل واحدة منها تعكس مستوى من مستويات الانتماء والهوية: فـ«الأمة» ترتبط غالباً بالرسالة والعقيدة الجامعة التي تتجاوز الأطر الضيقة، بينما يشير لفظ «القوم» إلى رابطة الانتماء الاجتماعي أو القبلي أو القومي، أما لفظ «الناس» فيحمل بعداً إنسانياً كونياً يضع البشرية كلها في إطار جامع واحد، إن هذا التنوع في استعمال المفردات يعكس البنية القرآنية في الانتقال من الخاص إلى العام، ومن المحدود إلى الشامل، ليؤسس لوعي هويّاتي متعدد المستويات، لكنه في الوقت ذاته متكامل ومتناسق.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التفسيرية واللغوية التي تناولت هذه المفردات، إلا أن تناولها من زاوية بناء الوعي الهويّاتي لا يزال محدوداً، الأمر الذي يستدعي مقاربة تحليلية جديدة تربط بين الدلالة القرآنية وبين إشكالية الهوية التي تعاني منها الأمة الإسلامية في العصر الراهن، إذ يُمكّن هذا التحليل من فهم كيف أراد

القرآن أن يبني أمةً ذات هوية إيمانية جامعة، قادرة على استيعاب أبعاد الانتماء الاجتماعي والإنساني من دون تعارض أو انغلاق.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في دراسة المفردة القرآنية بوصفها أداة لتأسيس الوعي بالهوية، والكشف عن دور ألفاظ (الأمة – القوم – الناس) في رسم معالم الانتماء وبلورة الوعي الجمعي للأمة الإسلامية، مع إبراز أثرها في معالجة أزمات الهوية التي يواجهها الواقع المعاصر.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في غياب الدراسات التحليلية المتخصصة التي تعالج المفردة القرآنية من زاوية بناء الوعي الهويّاتي، إذ غالباً ما يتم تناولها إما من الجانب اللغوي الصرف أو من الناحية التفسيرية الجزئية، من دون ربطها بمفهوم الهوية ودورها في تشكيل وعي الأمة.

أسئلة البحث

١. ما الأبعاد الدلالية واللغوية لمفردات (الأمة – القوم – الناس) في القرآن الكريم؟

٢. كيف ساهمت هذه المفردات في بناء الوعي الهويّاتي للأمة الإسلامية؟

٣. ما الفروق المفهومية بين هذه الألفاظ من حيث الارتباط بالانتماء الديني والاجتماعي والإنساني؟

٤. ما انعكاسات هذا البناء الهويّاتي على واقع الأمة المعاصر؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث الى بيان :-

١. دراسة الدلالات القرآنية لمفردات (الأمة – القوم – الناس).

٢. بيان الأثر الفكري والاجتماعي لهذه المفردات في تشكيل الوعي الهويّاتي.

٣. المساهمة في الدراسات القرآنية التي تربط بين النص القرآني ومفاهيم الهوية.

٤. توضيح البنية القرآنية في الانتقال من الهوية الخاصة إلى الهوية الجامعة الإنسانية.

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في كونه يعالج موضوعاً يجمع بين الدراسات القرآنية ومباحث الهوية، وهو مجال معاصر يحتاج إلى تأصيل قرآني متين. كما أنّه يساعد على فهم كيفية تشكّل الوعي الجمعي للأمة عبر النص القرآني، بما ينعكس على معالجة أزمات الهوية في العالم الإسلامي اليوم.

منهجية البحث

لتحقيق الاهداف المرجوة من هذا البحث تم اتباع المنهج التحليلي الدلالي لتحليل الألفاظ القرآنية المدروسة وفق معاجم اللغة وكتب التفسير، وكذلك المنهج المقارن للموازنة بين الألفاظ الثلاثة في ضوء السياقات القرآنية المختلفة، اضافة الى المنهج الاستنباطي لاستخلاص النتائج المتعلقة ببناء الوعي الهويّاتي.

هيكلية البحث

لدراسة المفردة القرآنية وأثرها في بناء الوعي الهويّاتي للأمة– دراسة تحليلية في ألفاظ (الأمة – القوم – الناس) بشكل مفصل تم تقسيمه الى مطلبين وكل مطلب الى فرعين وكما يلي:–

المطلب الأول: لفظ الأمة ودلالاته في القرآن الكريم

الفرع الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمة.

الفرع الثاني: السياقات القرآنية للفظ الأمة وأثرها في بناء الهوية الدينية.

المطلب الثاني: لفظا القوم والناس ودلالاتهما في القرآن الكريم

الفرع الأول: دلالة لفظ القوم وأثره في بناء الهوية الاجتماعية والقومية.

الفرع الثاني: دلالة لفظ الناس وأثره في تأسيس البعد الإنساني للهوية.

المطلب الأول: لفظ الأمة ودلالاته في القرآن الكريم

يُعدّ لفظ الأمة من الألفاظ القرآنية التي أسهمت في تشكيل الوعي الهويّاتي للأمة الإسلامية، لما يحمله من شحنات دلالية تتجاوز المعنى اللغوي المباشر إلى بناء منظومة متكاملة من الانتماء والرسالة والوحدة، فالقرآن الكريم لم يوظف هذا اللفظ إلا في استعمالات مقصودة، تعكس تصوراً شاملاً لمفهوم الجماعة البشرية التي يجمعها رابط الدين أو العقيدة أو المصير المشترك، ومن خلال تعدد الاستعمالات يظهر أن مفهوم الأمة في القرآن لا يقتصر على البعد الاجتماعي فحسب، بل يمتد إلى البعد العقدي والرسالي، ليكون أداة أساسية في بناء الوعي الهويّاتي الذي يجعل الانتماء لله ورسوله فوق أي انتماء آخر، وبناءً على ذلك، فإن دراسة لفظ الأمة تكشف عن أبعاده الدلالية المتنوعة التي ساهمت في ترسيخ هوية الأمة الإسلامية، عبر الجمع بين الوحدة الدينية، والارتباط التاريخي، والبعد الرسالي الشامل. وهو ما يدعونا إلى تقسيم هذا المطلب إلى فرعين رئيسيين، وكما يلي:-

الفرع الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للأمة

يتقارب مفهوم الأمة في معاجم اللغة مع معاني الجماعة البشرية بمختلف أشكالها، بما يشمل الأقوام والشعوب والناس، ويتقاطع مع مصطلحات مثل الملة والقوم والشعب. ويعرف ابن منظور "الأمة" بأنها حشد من الناس في الزمان الواحد، أما "أمة كل نبي" فهي تشير إلى مجموع من بعث إليهم النبي سواء كانوا مؤمنين أو كفارًا، في حين أن "أمة محمد" تشمل جميع من أرسل إليه سواء من آمن به أو كفر..[١]

ويؤكد الراغب الأصفهاني هذا المعنى، حيث يعرّف الأمة بأنها كل جماعة يجمعها عنصر مشترك، سواء كان ديناً واحداً أو فترة زمنية محددة أو مكاناً معيناً، بغض النظر عما إذا كان هذا الجمع اختيارياً أم نتيجة ظروف قسرية، ويُطلق على هذه الجماعات جمعياً مصطلح الأمم.[٢] . مع ذلك، تشير المعاجم إلى دلالات إضافية لمفهوم الأمة، فمثلاً يورد ابن منظور في لسان العرب مرادفات مختلفة تشمل الرجل الفريد، والحين، والملك. كما يوضح ابن الأنباري في كتابه الزاهر في معاني كلمات الناس أن مصطلح "الأمة" في اللغة العربية يتفرع إلى ثمانية أقسام، من بينها الجماعة، والزمن، والدين، موضحاً تعدد السياقات التي يمكن أن يُستخدم فيها هذا اللفظ. [٣]

ويرجع السبب الرئيسي لتعدد دلالات هذه المفردة إلى استخدامها في القرآن الكريم في سياقات مختلفة تحمل معاني متباينة، مما يصعّب على اللغوي حصرها في معنى واحد فقط واعتبار المعاني الأخرى مشتقة منه. ومن ثم، يضطر الباحث إلى الافتراض بأن للفظة "الأمة" معانٍ متعددة تختلف بحسب السياق القرآني والغرض من استعمالها، فضلاً عن القصد الذي يريده المتحدث أو الكاتب عند توظيفها.[٤]

أمّا من الناحية الاصطلاحية، فتشير كلمة الأمة إلى جماعة بشرية متجانسة، يمكن أن يكون هذا التجانس قائمًا على الزمان أو المكان أو الفكر والدين، وتعرف موسوعة السياسة الأمة بأنها مجموعة بشرية تطورت عبر مراحل تاريخية متعاقبة، بحيث نشأ بينها انسجام وتجانس قومي، مع لغة مشتركة وروح انتماء تجمعها، ما يؤدي إلى شعور بهوية قومية متماسكة، وتطلعات ومصالح قومية مشتركة ومستقلة[٥]، مع ذلك، يبدو أن هذا التعريف يحمل قدرًا من التضييق، إذ يضع العديد من المعايير لتصنيف مجموعة معينة على أنها أمة، وهو ما قد لا يتوافق مع فهم عدد كبير من مستخدمي هذا المفهوم. وتتجاوز الموسوعة العربية العالمية هذه الإشكالية بتقديم تعريف أوسع، إذ تعتبر الأمة مجموعة بشرية كبيرة تجمعها عوامل مشتركة مثل الدين، اللغة، التاريخ، التراث، والثقافة، ويشعر أفرادها غالبًا بولاء عميق لأمتهم ويفتخرون بخصائصهم القومية المميزة.».[٦]

رغم أن هذه التعريفات وغيرها توفّر قدراً من الوضوح حول مفهوم الأمة، فإنها في الوقت ذاته تولّد نوعًا من الغموض والإبهام، خاصة عند مقارنتها بالتطور التاريخي للمصطلح. فالدائرة الواسعة التي تحددها المعاجم من حيث الشمول والانطباق تصطدم أحيانًا بتقييدات وتحديدات تضيق المفهوم، ما يخلق حالة من التباين بين العموم والخصوصية في فهمه.

ونرى ان تكرار لفظ "الأمة" في القرآن وتوظيفه في سياقات متعددة ليس مجرد استعمال لغوي، بل هو أداة عملية لبناء وعي جماعي متكامل، فاللفظ يخلق إحساساً بالانتماء والهوية المشتركة، ويجعل الفرد يشعر بالارتباط بالدين وبالجماعة على حد سواء، كما أنه يحفز الأمة على الالتزام بمبادئ الدين والعمل كجماعة فاعلة في المجتمع، ما يعزز من قوة الهوية الدينية واستمراريتها عبر الأجيال.

وبالتالي، نرى أن اللفظ القرآني "الأمة" يشكل محوراً أساسياً في تكوين الهوية الدينية، إذ يجمع بين الالتزام بالقيم الدينية، والانتماء الجماعي، والمسؤولية الفردية والجماعية، ما يجعل الأمة إطاراً جامعاً للهوية الروحية والاجتماعية للمسلمين.

الفرع الثاني: السياقات القرآنية للفظ الأمة وأثرها في بناء الهوية الدينية

أنّ لفظ الأمة قد ورد في القرآن الكريم في أربعٍ وستين آية، جاءت معظمها بدلالة واحدة، فيما تميزت أربع آيات بدلالات خاصة. ففي سورة النحل، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠)، حيث دلّت الأمة هنا على معنى القدوة والإمام الذي يُؤتم به. وفي موضع آخر جاء اللفظ بمعنى الأجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ (هود: ٨).

بينما وردت الكلمة في آيتين بمعنى العقيدة أو الطريق، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢)، وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣)

أمّا في سائر الآيات فقد استُعمل لفظ الأمة للدلالة على الجماعة المتميزة عن غيرها بصفة أو رابطة، مهما كان مضمون هذه الرابطة. ويؤكد هذا الاستعمال أن الأمة تعني جماعة بشرية مشخصة، إذ جاءت غالباً في موقع الفاعل الغائب، وأشير إليها بواو الجماعة[٧]، مثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، وقوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٨١)، وكذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (يونس: ١٩). ومن اللافت أنّ القرآن لم يخص لفظ الأمة بالبشر وحدهم، بل وسّعه ليشمل الجماعات من الجن والحيوان والطير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ (الأعراف: ٣٨)، وقوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأنعام: ٣٨). بل جاء في قصة نوح عليه السلام أن الله تعالى أمره بحمل أزواج من المخلوقات في الفلك، ثم قال: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (هود: ٤٨)، في إشارة إلى الجماعات المتنوعة من المخلوقات التي اصطحبها معه.

وهناك من يرى ان مفهوم الامة يعتبر أول نداءٍ وجّه إلى النوع الإنساني، يدعوه للاهتمام بالاجتماع وتنظيمه، كان على لسان النبي محمد بما نزل عليه من آيات ربه، حيث دعا الناس إلى سعادة الحياة وطيب العيش في إطار جماعي منظم. ويستشهد الطباطبائي بآيات عدة تؤكد هذا المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

حيث أنّ هذه الآيات وغيرها جاءت لتمنع التفرق والانشعاب، وتؤكد على حفظ وحدة المجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩). كما أكدت آيات أخرى على مبادئ الأخوة والتعاون، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)

ومن خلال هذا العرض، يتضح أن لفظ الأمة في القرآن الكريم اتخذ أبعاداً متعددة: فهو يدل على الجماعة البشرية المتميزة، وقد يستعمل للدلالة على القدوة الفردية أو الأجل أو العقيدة، كما أنه يعبّر عن شمولية المفهوم ليغطي مختلف الكائنات. أما في بُعده الاجتماعي، فقد ركّز على ضرورة الوحدة والتعاون، محذراً من التفرق والنزاع، ليؤسس بذلك لوعي هويّاتي قائم على الجماعة المؤمنة المتماسكة.

مما تجدر الاشارة اليه هو إنَّ إدراك المكانة التي حظيت بها فكرة الأمّة في القرون الإسلاميّة، كما يشير ناصيف نصّار، لا يمكن أن يتحقق بصورة دقيقة من دون الرجوع إلى حضورها في النصّ القرآني، إذ إنّ هذا النص كان المرجع الأعلى والموجِّه الأساس عبر العصور العربيّة والإسلاميّة الوسيطة. ومن ثمّ فإنّ أي محاولة لقراءة مفهوم الأمّة في الفكر القومي الحديث، باعتباره نتاجاً أيديولوجياً معاصراً متجاوزاً للنص القرآني، تبقى خاضعة لتأثير ذلك المفهوم القرآني بما له من أسبقية تاريخية وجذور راسخة في الوجدان الجمعي.[٨]

وقد ورد لفظ الأمّة في القرآن الكريم بتنوّع لافت في الاستخدامات؛ إذ جاء بصيغة المفرد في تسعٍ وأربعين آية، وبصيغة الجمع المخاطَب في آيتين، كما ورد بمعنى الجمع غير المعرّف في ثلاث عشرة آية، وكلها تدلّ على دلالات مختلفة تبعاً لسياقها القرآني.

أما الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن فقد عرّف الأمّة بأنّها: كل جماعة يربطها أمر مشترك، كالدين أو الزمان أو المكان، سواء أكان ذلك الجامع قائماً على التسخير أم على الاختيار[٩]. ومع ذلك يقرّ بأن الاستعمالات القرآنية حملت معاني متعددة أخرى. وهو ما يؤكّده المفسّرون الذين اتفقوا على أنّ المعنى

المحوري للفظ الأمّة هو معنى "الجماعة"، مع إمكان انزياحه إلى دلالات أخرى بحسب السياق. ويشير العلّامة الطباطبائي إلى أنّها كثيراً ما تأتي بمعنى "القوم"، غير أنّ هذا المعنى يختلف في سعته وضيقه تبعاً للموضع الذي وردت فيه.[١٠]

وعليه، فإنّ الاستعمال القرآني لمصطلح الأمّة يتراوح بين معناه الأصلي، أي الجماعة التي يجمعها مقصد مشترك، وبين معانٍ مضافة تُلصق به بحسب الصفات التي تحدّد طبيعة هذه الجماعة، كالانتساب إلى دين أو اتّباع شريعة أو الخضوع لزمن أو مكان محدّد.

ومن أبرز الصفات التي وردت مقترنة بلفظ الأمّة في الاستعمال القرآني ما يأتي:-[١١]

أولاً – وحدة الدين: فقد جاء في قوله تعالى: «كانَ الناسُ أُمَّةً واحدةً» أي متفقين على دين واحد، وقوله: «ولو شاءَ اللهُ لجعلكم أُمَّةً واحدةً» أي على شريعة واحدة، وكذلك: «إنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً واحدةً» بمعنى أنهم أصحاب ملة واحدة.

ثانياً – الطريقة أو الحال: كما في قوله: «إنّا وجدنا آباءنا على أُمَّة» أي على دين أو حال معينة، وقوله: «ولمّا وردَ ماءَ مدين وجدَ عليه أُمَّةً من الناس يسقون» أي جماعة يزاولون عملاً واحداً.

ثالثاً – جماعة العصر المحدّد: كقوله تعالى: «لكلِّ أُمَّةٍ أجل»، وقوله: «ولكلِّ أُمَّةٍ رسول»، أي أن اللفظ يطلق على أهل زمن معين.

رابعاً – الحين والزمان: كما في قوله: «وادّكر بعد أُمَّة»، و «إلى أُمَّةٍ معدودة» أي بعد مدة أو زمن معلوم.

خامساً – المخلوقات جميعاً: كما في قوله تعالى: «وما من دابّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلاّ أُممٌ أمثالكم»، إذ أُطلق اللفظ على كل نوع من المخلوقات المتحركة، وهو معنى يتسق مع المدلول الأوّل بوصفهم يشتركون في مقصد واحد.

وعلى الرغم من تنوّع هذه الدلالات، إلا أن الاستعمال القرآني غلب عليه تخصيص لفظ الأمة بالبشر، وبالأخص المسلمين، إذ خُصّوا بالخطاب المباشر الذي يصفهم بالجماعة الموحّدة: «إنّ هذه أُمّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدون». كما رفع من شأنهم بقوله: «كنتم خيرَ أُمّةٍ أُخرِجت للناس»، وأمرهم بالاعتدال: «وكذلك جعلناكم أُمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس».

إن هذا الخطاب القرآني، بما يحمله من شحنات روحية ورمزية، جعل مفردة الأمة تتجذر في وعي المسلمين كهوية جامعة، تستحضر في أوقات الأزمات أو الضعف لتحفيزهم على النهوض، كما تُسترجع للدلالة على تاريخهم المشرق ورسالتهم الخالدة.[١٢]

يتضح مما سبق أن القرآن بنى مفهوم الأمة على أسس متدرجة ومتكاملة:

١. التوحيد كأساس جامع: فالأمة القرآنية تقوم على عبادة الله وحده، وهذا يجعل الهوية الدينية سابقة على كل انتماء آخر.

٢. الوعي التاريخي: من خلال الحديث عن آجال الأمم السابقة ومصائرها، يرسخ القرآن لدى المسلمين إدراكاً لمسؤوليتهم في حمل الرسالة والتمسك بها، حتى لا يتكرر ما وقع فيه من قبلهم.

٣. القدوة والرمزية: إذ لا تكتمل هوية الأمة إلا بوجود رموزها وقدواتها، التي تجسد القيم وتمنح الجماعة ثباتاً واتجاهاً.

وبذلك تكون دلالات لفظ الأمة قد أسهمت في رسم معالم هوية دينية شاملة، تجمع بين العقيدة، والوعي التاريخي، والقدوة العملية. وهو ما جعل الأمة الإسلامية، في التصور القرآني، جماعة وسطاً بين الأمم، مؤتمنة على تبليغ الرسالة والشهادة على الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)

نلاحظ مما سبق إنّ السياقات القرآنية للفظ الأمة لا تقتصر على التعريف اللغوي أو الدلالي البسيط، بل تكشف عن مشروع متكامل لبناء هوية جماعية متميزة، فالأمة في القرآن ليست مجرد جماعة بشرية، بل هي جماعة إيمانية رسالية، مرتبطة بمصير تاريخي، قائمة على قدوة عملية، ووظيفتها أن تكون شاهدة على الناس، وهذا الفهم العميق يعيد للأمة الإسلامية وعيها بذاتها ودورها في الحاضر والمستقبل، ويجعلها قادرة على مواجهة تحديات التفكك والانقسام عبر العودة إلى الأساس القرآني الذي يجمعها.

المطلب الثاني: لفظا القوم والناس ودلالاتهما في القرآن الكريم

لا شك أن القرآن الكريم هو منبع ثري للمفاهيم اللغوية والدلالية التي أسهمت في تشكيل الهوية العقدية والفكرية للأمة الإسلامية، ومن أبرز تلك الألفاظ القرآنية التي ارتبطت بالإنسان ووجوده الاجتماعي لفظا القوم والناس، فكلاهما يحيلان إلى جماعات بشرية، إلا أنّ الاستعمال القرآني لهما اتّسم بدقة في السياق وعمق في المعنى، بحيث لم يكن توظيفهما اعتباطياً أو مترادفاً تماماً، بل جاء كلّ لفظ ليؤدّي دلالة مخصوصة ترتبط بمقام الخطاب ومقتضياته، إنّ لفظ القوم في الاستعمال القرآني غالباً ما يرتبط بجماعة محدّدة تجمعها رابطة النسب أو الانتماء أو المعيشة المشتركة، وهو بذلك يحيل إلى هوية جماعية أكثر خصوصية، بينما لفظ الناس يكتسب دلالة شمولية تتجاوز الحدود الضيقة للقوم، إذ يُستخدم في الإشارة إلى عموم البشر دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو المكان، وعليه، فإنّ الوقوف عند الدلالات القرآنية لهذين اللفظين يكشف عن تنوّع في الرؤية القرآنية للوجود الإنساني، بين الانتماء الخاص للأقوام والشعوب، والانتماء العام للبشرية جمعاء، ومن هنا تتجلّى أهمية هذا المطلب في إبراز الأبعاد الدلالية التي تحملها مفردتا القوم والناس في القرآن الكريم، وما يترتب على ذلك من أثر في تحديد طبيعة الخطاب القرآني، بين ما هو مخصّص لجماعة بعينها وما هو موجّه إلى الإنسانية ككل.

الفرع الأول: دلالة لفظ القوم وأثره في بناء الهوية الاجتماعية والقومية

يُعتبر لفظ القوم من الألفاظ ذات الجذور العريقة في اللغة العربية، فقد ورد في المعاجم القديمة بمعنى الجماعة من الناس، ويُطلق غالباً على الرجال دون النساء، وإن كان قد يُستعمل أحياناً للدلالة على المجموع البشري بصورة عامة، جاء في لسان العرب، القوم جماعة الرجال خاصة دون النساء، ولا واحد له من لفظه، وهو اسم جمع. وهذا التحديد اللغوي يعكس طبيعة الاستعمال العربي القديم، حيث ارتبط مفهوم القوم بالنهوض بالأعباء العامة والقيام بشؤون المجتمع، وهو ما كان من خصائص الرجال في السياقات القبلية والاجتماعية السائدة آنذاك.[١٣]

وفي الاصطلاح القرآني، لم يخرج لفظ القوم عن دلالته اللغوية، لكنه اتّسع ليحمل معاني أعمق ترتبط بالهوية والانتماء، إذ صار يشير إلى الجماعة الإنسانية التي تربطها وحدة نسب أو لغة أو دين أو أرض. وقد ورد

في القرآن الكريم أكثر من مئتي موضع لفظ "القوم"، مما يؤكد مركزية هذا المصطلح في الخطاب القرآني وتوجيهه.[١٤]

ويظهر لفظ القوم في القرآن الكريم في سياقات متعددة ومتنوعة، وهو تنوع يعكس ثراء الدلالة وأثرها في الوعي الجمعي. فقد ورد أحياناً للدلالة على جماعة مخصوصة مرتبطة برسول معين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، حيث يخاطب النبي قومه الذين يجمعه بهم نسب وانتماء اجتماعي، وفي مواضع أخرى جاء للتعبير عن هوية قومية تحمل صفات سلبية أو إيجابية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أو قوله: ﴿نِعْمَ الْقَوْمُ هُمْ﴾ [النور: ٦٢].

كما استُعمل اللفظ للدلالة على الجماعة الإنسانية في إطارها الأخلاقي أو السلوكي، كقوله: ﴿بِئْسَ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٨٦]، حيث يُحكم على القوم بمجموعهم من حيث الموقف العقدي، لا من حيث الأفراد فقط. هذا الاستخدام يوضح أن الخطاب القرآني يتجاوز البعد الفردي ليؤكد على البعد الجماعي في تكوين الهوية.

لقد أسهم استعمال لفظ القوم في القرآن الكريم في ترسيخ مفهوم الهوية الاجتماعية القائمة على روابط الانتماء المشترك، إذ إنّ الإنسان لا يعيش في عزلة عن جماعته، وإنما يتحدد موقعه في إطار قومي يحدد سلوكه وموقفه. ولذلك نجد القرآن كثيراً ما يخاطب الأقوام بصيغة الجمع، موجهاً إليهم الدعوة إلى الإيمان أو محذراً إياهم من عاقبة التكذيب، مما يعكس أن الرسالة القرآنية لا تستهدف الفرد بمعزل عن جماعته، بل تنظر إلى القوم ككتلة اجتماعية فاعلة.

هذا الخطاب ساعد في تكوين وعي جمعي لدى المسلمين الأوائل بأنهم جزء من أمة تشبه الأقوام التي سبقتهم، وأنّ مصيرهم يرتبط بمصير جماعتهم. ومن هنا تنشأ المسؤولية الجماعية في حمل الرسالة، إذ لا يُكتفى بإصلاح الفرد، بل يُطلب إصلاح القوم بأكملهم.

ولا يقف أثر لفظ القوم عند حدود الهوية الاجتماعية، بل يمتد إلى بعد قومي أوسع. فالقرآن الكريم يشير إلى أقوام متعددة عبر التاريخ: قوم نوح، قوم هود، قوم صالح، قوم فرعون، وغيرها، كل هذه الأقوام تشكل وحدات قومية لها سماتها وخصائصها، وقد جمع بينها كونها جماعات بشرية لها مصير مشترك.[١٥١٦]

هذا الطرح القرآني يعكس إدراكاً عميقاً للهوية القومية بوصفها ظاهرة إنسانية أصيلة، فالانتماء إلى "قوم" هو أمر لا ينفصل عن حياة الإنسان. لكنّ القرآن في الوقت نفسه لا يكتفي بالاعتراف بهذه الهويات الجزئية، بل يسعى إلى توجيهها نحو غاية أسمى، وهي التوحيد والإيمان، فالقوم إذا التزموا بالحق كانوا خير قوم، وإذا أعرضوا عن الحق صاروا "قوماً لا يعقلون" أو "قوماً فاسقين".

ولقد كان لتكرار لفظ القوم في القرآن وأثره على الوعي الاجتماعي دور مهم في بناء الهوية الإسلامية الجامعة، فالمسلمون، وقد قرؤوا قصص الأقوام السابقة وعرفوا مصائرها، صاروا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم "قوماً" جديداً، يحمل رسالة خاتمة، ويواجه تحديات شبيهة بما واجهته الأقوام الماضية. هذا الإدراك عزز من تماسك الجماعة المسلمة ومنحها شعوراً بالانتماء إلى وحدة اجتماعية ودينية متكاملة.[١٧]

كما أنّ توظيف لفظ القوم في القرآن ساعد على صياغة وعي قومي بمعناه الإيجابي، حيث لا يُقاس القوم بحسب انتمائهم العرقي فقط، وإنما بحسب قيمهم وإيمانهم، فالهوية الحقيقية ليست مجرد رابطة دم أو نسب، وإنما هي رابطة عقيدة ورسالة. وهكذا انتقل المفهوم من مستوى اجتماعي ضيق إلى مستوى أوسع يؤسس للهوية الجامعة للأمة الإسلامية.

يتبين من خلال ما سبق أنّ لفظ القوم في القرآن الكريم ليس مجرد دلالة لغوية تشير إلى جماعة من الناس، بل هو مفهوم متكامل أسهم في بناء الهوية الاجتماعية والقومية، وربط بين الانتماء البشري الخاص والانتماء الرسالي العام، وقد شكّل هذا اللفظ أحد اللبنات الأساسية في تكوين الوعي القرآني بالهوية، بما يحمله من إشارات إلى وحدة المصير الجماعي ومسؤولية المجتمع في تبنّي قيم الحق والعدل.

ونحن نرى ان لفظ "القوم" في القرآن الكريم من المفردات التي تحمل أبعادًا اجتماعية واضحة، فهو لا يشير فقط إلى مجموعة من الأفراد، بل يحدد إطارًا من الانتماء المشترك الذي يجمع هؤلاء الأفراد بناءً على النسب أو المكان أو المعتقد أو المصالح المشتركة، ونرى ايضا أن هذا اللفظ يلعب دورًا محوريًا في تأسيس الهوية الاجتماعية والقومية من خلال توضيح الانتماءات الجماعية التي تربط الفرد بمحيطه المباشر، سواء كان قبيلة، عشيرة، أو جماعة دينية.

كما ونشير إلى أن القرآن استخدم لفظ "القوم" في معانٍ متعددة، أبرزها:

١. تحديد الجماعات ذات الانتماء المشترك: كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، حيث يُبرز اللفظ الجماعة المتميزة بدين أو رسالة معينة، ما يعكس ضرورة وجود شعور بالتماسك الداخلي والانتماء الجماعي.

٢. تأكيد الانتماء المشترك والهوية الجماعية: إذ يظهر لفظ "القوم" ليشير إلى الجماعات البشرية التي تتشارك في الخصائص أو القيم، ما يعزز الوعي بالهوية الاجتماعية داخل المجتمع، ويحفز على الالتزام بالقيم والمعايير التي تحافظ على وحدة الجماعة.

٣. بناء شعور بالمسؤولية الجماعية: فاللفظ لا يكتفي بوصف الجماعة فحسب، بل يوحي بضرورة تضافر جهود أفرادها لتحقيق مصالح مشتركة وحماية قيمهم، ما يسهم في صقل الهوية القومية والاجتماعية من خلال تفاعل الأفراد مع محيطهم والآخرين.

ونرى أن أثر لفظ "القوم" في بناء الهوية الاجتماعية والقومية يتمثل في عدة محاور رئيسية:

- الربط بين الفرد والمجموعة: إذ يمنح كل فرد شعورًا بالانتماء لجماعة لها خصائص مشتركة، ما يرسخ الانسجام الاجتماعي ويقوي الروابط الداخلية.
- تعزيز الانتماء التاريخي والجغرافي: فاللفظ يربط الأفراد بتاريخهم المشترك ومكانهم، ما يعزز الهوية القومية ويقوي الانتماء الوطني.
- تأكيد التماسك القيمي: الجماعة المقصودة باللفظ تتحمل مسؤولية الحفاظ على المبادئ والقيم التي تميزها عن غيرها، وبالتالي يصبح اللفظ وسيلة لترسيخ الثقافة الاجتماعية والهوية المشتركة بين أفراد المجتمع.

من هذا المنطلق، يرى الباحث أن لفظ "القوم" يشكل أداة أساسية في القرآن لتعزيز الوعي الجماعي والاجتماعي، إذ لا يقتصر دوره على توصيف الجماعة، بل يتعداه إلى صياغة روابط معنوية وتقوية الانتماءات المشتركة، ما يجعل الهوية الاجتماعية والقومية نابعة من وعي ديني وثقافي مشترك يضمن استمرار الجماعة واستقرارها.

الفرع الثاني: دلالة لفظ الناس وأثره في تأسيس البعد الإنساني للهوية

يُعتبر لفظ الناس من الألفاظ الشائعة في اللغة العربية، ويشير إلى جميع البشر بغض النظر عن الانتماءات القومية أو العرقية أو الدينية، وقد ورد في لسان العرب الناس جمع من نَسَمَ، وهم جميع البشر الذين يعيشون على الأرض، وعليه فإن لفظ الناس يحمل دلالة شمولية، تختلف عن لفظ القوم الذي يقيد الجماعة بوحدة نسب أو أرض أو مذهب.

في الاصطلاح القرآني، لم يقتصر لفظ الناس على مجرد تعبير عن الجماعة البشرية، بل اتّخذ دلالات أخلاقية واجتماعية وسياسية، إذ يُخاطب الله الناس جميعاً في القرآن، موحداً خطابهم وموضحاً حقوقهم وواجباتهم، وهذا الاستخدام يُظهر أن القرآن ينظر إلى الإنسان باعتباره كياناً جماعياً واسع النطاق، ليس مقيداً بالقبيلة أو البلد، بل مشتركاً في إطار الإنسانية جمعاء.[١٨]

لقد جاء لفظ الناس في القرآن الكريم في سياقات متنوعة، أبرزها خطاب الدعوة والتوجيه، مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٢١]. وفي هذه الآية يتضح أن الخطاب موجّه إلى عموم البشر دون تمييز، ويؤكد على مسؤولية كل فرد تجاه خالقه، وعلى التزام كل جماعة بشرية بأخلاقيات الحق والعدل.[١٩]

كما ورد لفظ الناس في سياقات تتعلق بالهداية والتحذير، كما في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [المائدة: ٤٩]، حيث يُشير إلى الإنسان ككائن جماعي، لكن مسؤول عن موقفه الفردي والجماعي تجاه الدين. وفي مواضع أخرى جاء اللفظ للدلالة على التكافل الاجتماعي، كما في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فالرحمة هنا تشمل جميع الناس بلا استثناء، مؤكدة البعد الإنساني الشامل للهوية القرآنية.

إن استعمال لفظ الناس في القرآن عزز من وعي الأفراد بالانتماء إلى مجتمع عالمي شامل، متجاوز للحدود القومية والعرقية. فكل إنسان يُنظر إليه باعتباره جزءاً من النوع الإنساني، له حقوق وواجبات تجاه الآخرين، ويشارك في صياغة القيم الجماعية.[٢٠]

وقد أسهم هذا الاستخدام في ترسيخ البعد الإنساني للهوية، إذ جعل للإنسان مكانة متساوية أمام الله، وأكّد على قيمة الإنسان بغض النظر عن أصله أو لونه أو جنسه. وفي هذا السياق، يتحول الوعي الجمعي إلى إدراك أخلاقي شامل، يربط بين الفرد والجماعة والبشرية بأكملها، بما يخلق شعوراً بالمسؤولية الإنسانية المشتركة.

إن لفظ الناس لم يُستعمل في القرآن الكريم مجرد وصف عام للبشر، بل جاء في كثير من الآيات مرتبطاً بمبادئ اجتماعية وسياسية مهمة. فهو يوجّه الناس إلى العدالة والمساواة، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [يونس: ٥٧]. فالخطاب هنا يربط الإنسان بالبعد الاجتماعي، ويؤكد على حقوقه وواجباته، ويجعل من الإنسان عنصراً فاعلاً في بناء مجتمع متماسك يقوم على قيم العدالة والمساواة.

كما جاء لفظ الناس مرتبطاً بمبدأ التعاون والاعتصام بالفضائل المشتركة، مثل قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة: ٢]، حيث يُبرز دور الإنسان كعضو في مجتمع شامل، مسؤول عن حماية القيم الأخلاقية وتعميم الخير بين الجميع، وهو ما يُكسب الهوية الإنسانية بعداً دينياً وأخلاقياً متكاملاً.[٢١]

ان استخدام لفظ الناس ساهم في صوغ وعي عالمي يربط بين الشعوب والأجيال، ويؤكد أن الهوية الإنسانية تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية. فالقرآن لا يكتفي بتوجيه المسلمين فقط، بل يوجّه خطابه إلى جميع الناس، موضحاً أن الرسالة الإلهية عامة وشاملة، والالتزام بها يحقق السلام الاجتماعي والتعايش بين البشر.[٢٢]

بهذا الشكل، يشكل لفظ الناس وسيلة لغوية ودلالية لترسيخ مفهوم الإنسانية المشتركة، وإدراك أن كل جماعة أو فرد يشكل جزءاً من كيان أكبر، وأن المسؤولية الإنسانية مشتركة. كما يعكس هذا الاستخدام الحرص القرآني على توازن الهوية بين الانتماء الخاص (القوم أو الأمة) والانتماء العام للنوع الإنساني، بما يضمن تأسيس مجتمع أخلاقي منسجم متكامل على الصعيد العالمي.[٢٣]

يتضح أن لفظ الناس في القرآن الكريم يتجاوز حدود التعبير اللغوي البسيط، ليؤسس لوعي إنساني شامل يشمل كل البشر، ويؤطر الهوية الإنسانية على أساس القيم الأخلاقية والدينية المشتركة. إن هذا التوظيف

القرآني للفظ الناس أسهم في صوغ البعد الإنساني للهوية، وربط الفرد بمسؤولياته تجاه الجماعة والبشرية، ما يعزز مفهوم العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي على نطاق عالمي، ويجعل الهوية القرآنية متعددة الأبعاد: قومية، اجتماعية، وإنسانية.

يتضح من دراسة دلالات لفظي القوم والناس في القرآن الكريم أنّ كلا اللفظين يحمل بعداً أساسياً في صياغة الهوية، مع فروق دقيقة في نطاق الدلالة ومجالات التطبيق. فالقوم يرتبط غالباً بالجماعات المحددة بنسب أو مكان أو زمان أو انتماء ديني، ويؤسس للهوية الاجتماعية والقومية من خلال الإحساس بالانتماء والتماسك الجماعي. وهو بذلك يشكل إطاراً خاصاً يُعبّر عن التماسك الداخلي للمجتمع، ويحفّز على تحمل المسؤولية الجماعية تجاه الرسالة والقيم المشتركة، كما يظهر في خطاب الأقوام السابقة والأنبياء في القرآن الكريم.

أما الناس فيأتي بمعنى شامل يضم جميع البشر، متجاوزاً حدود القوم أو القبيلة، ليؤسس للبعد الإنساني للهوية. فهو يُبرز المساواة بين البشر، ويؤطر الواجبات والحقوق على المستوى العالمي، ويرسخ مفهوم المسؤولية الإنسانية المشتركة، بما يربط بين الفرد والجماعة والبشرية ككل. فالخطاب القرآني عند استخدام لفظ الناس يعكس رؤية أخلاقية عالمية، تشجع على التعاون، وتعميم القيم الإنسانية، وتحقيق العدالة والمساواة.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إنّ لفظي القوم والناس في القرآن يكملان بعضهما بعضاً في بناء الهوية: فالأول يرسّخ الانتماء الخاص ويقوي الروابط الداخلية، بينما الثاني يمدّ الهوية بعمق إنساني شامل يتجاوز الحدود الضيقة، ويجعل الفرد والجماعة جزءاً من مشروع كوني قائم على الأخلاق والقيم. هذا التكامل بين البعدين الاجتماعي والقومي والإنساني هو الذي منح الهوية القرآنية طابعها الشامل والمتوازن، وخلق وعياً جماعياً وفردياً في آنٍ واحد، يربط الإنسان بماضيه التاريخي وحاضره الجماعي ومستقبله الإنساني العالمي.

وبالتالي، فإن دراسة هذين اللفظين وفهم دلالاتهما وسياقهما القرآني تساعد في إبراز الأبعاد المتعددة للهوية الإسلامية، وتوضيح الطريقة التي صاغ بها القرآن المفاهيم الجمعية لتقوية الانتماء والوعي لدى المسلمين، وفي الوقت ذاته لتعزيز البعد الإنساني العام الذي يربطهم بالبشرية جمعاء.

الخاتمة

يبين البحث أن المفردات القرآنية الأمة – القوم – الناس ليست مجرد ألفاظ لغوية، بل تحمل دلالات عميقة في بناء الهوية الجماعية والفردية للأمة الإسلامية، فقد أسهم لفظ الأمة في ترسيخ الانتماء الديني والوحدة الجماعية، بينما ساعد لفظ القوم على تعزيز الهوية الاجتماعية والقومية، وأرسى لفظ الناس البعد الإنساني الشامل، مؤكدًا المساواة وحقوق جميع البشر، كما أظهرت الدراسة أن السياقات القرآنية لهذه المفردات كانت دقيقة ومتنوعة، بما يعكس رؤى شاملة للهوية تجمع بين الانتماء الخاص والعام، بين الروابط القومية والاجتماعية، وبين القيم الأخلاقية والإنسانية.

النتائج:

١. لفظ الأمة في القرآن يرسّخ الانتماء الديني ويعزز الوحدة بين أفراد الجماعة المسلمة، ويحفزهم على الالتزام بالقيم والمبادئ الدينية.

٢. لفظ القوم يُبرز الهوية الاجتماعية والقومية من خلال الإشارة إلى الجماعات المحددة بالدم أو المكان أو المعتقد، ويعزز الشعور بالمسؤولية الجماعية تجاه المجتمع.

٣. لفظ الناس يرسخ البعد الإنساني العام للهوية، ويؤكد المساواة والحقوق المشتركة بين جميع البشر، ويعزز التعاون والتكافل الاجتماعي.

٤. الاستخدام القرآني لهذه المفردات يعكس التكامل بين الانتماءات الجزئية والانتماء الكوني، مما يسهم في تكوين وعي شامل لدى الأفراد والجماعات.

٥. المفردات الثلاثة تعمل معاً على صياغة هوية متعددة الأبعاد: دينية، اجتماعية، وقومية، وإنسانية، وهي أساس للوعي الجمعي والفردي.

التوصيات:

١. ضرورة الاهتمام بدراسة المفردات القرآنية ودلالاتها في المناهج التعليمية لتعزيز فهم الطلاب للهوية الدينية والاجتماعية والإنسانية.

٢. توظيف معاني لفظي الأمة والقوم في تعزيز الوحدة المجتمعية ومواجهة التفرقة والانقسام داخل المجتمعات الإسلامية.

٣. استخدام دلالات لفظ الناس في البرامج الثقافية والاجتماعية لتعزيز القيم الإنسانية العالمية والمساواة بين الشعوب.

٤. تشجيع البحث المستمر في السياقات القرآنية للفظات الأخرى ذات الأثر في الهوية لتوسيع الفهم المعرفي للتراث الإسلامي.

الهوامش

[١] ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، بيروت، دار صادر، بلا سنة ص ٢٦.

[٢] الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القُرآن، ط١، بيروت، طليعة النور، ١٤٢٦هـ، ص٨٦.

[٣] السيِّد، رضوان، الأُمَّة والجماعة والسلطة، ط١، بيروت، دار إقرأ، ١٩٨٤، ص٤٣ . ٤٤.

[٤] السيد صادق عباس الموسوي، التحديد المفاهيمي لمصطلح الامة والمواطنة، مجلة المنهاج، العدد(٥٤)، ٢٠٠٩، ص٩٠.

[٥] الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ط٣، ج٢٣، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص٣٠٥.

[٦] مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض، ١٩٩٠، ص٦٩٣.

[٧] دغيم، سميح، مصطلحات الفكر العربي والإسلامي ، ج٣، ص٢٠٦٧.

[٨] النحّاس، معاني القُرآن، ج١، جامعة أمُّ القرى، السعودية، ١٤٩هـ، ص١٦١.

[٩] الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القُرآن، ط١، قم، طليعة النور، ١٤٢٦هـ، ص٨٦.

[١٠] الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القُرآن، ج١، بيروت، الأعلمي، ١٩٧٤م، ص٢٩٧.

[١١] مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، م.س، ج٢٧، ص١١٣

[١٢] النحّاس، معاني القُرآن، مصدر سابق، ص١٦٢.

[١٣] العلاّمة الحلي، تذكرة الفقهاء، طبعة حجرية، قُم، منشورات المكتبة الرضوية، ص١٤٥.

[١٤] حبيب، كمال، الاقلّيات والسياسة في الخبرة الإسلامّية، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص٩٦.

[١٥] حبيب، كمال، الاقلّيات والسياسة في الخبرة الإسلامّية، مصدر سابق، ص٩٧.

[١٦] السيِّد، رضوان، الأُمَّة والجماعة والسلطة، مصدر سابق، ص٤٧.

[١٧] دغيم، سميح، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية، ج١، ص٩٩٢.

[١٨] نصّار، ناصيف، مفهوم الأُمّة بين الدين والتاريخ، مصدر سابق، ص٣١.

[١٩] شلق، الفضل، الأُمّة والدولة، ط١، بيروت، دار المنتخب العربي، ١٩٩٣، ص١٤ .

[٢٠] أبو زيد، أحمد، محمد باقر الصدر: السيرة والمسيرة، ط١، ج١، بيروت، دار العارف، ٢٠٠٧، ص٢٧.

[٢١] الشيخ المفيد، المُقنعة، ط٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠، ص٢١٣

[٢٢] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، دار صادر، بيروت، ص١٩.

[٢٣] مجموعة باحثين، المُواطَنة والديمقراطية في البلدان العربيّة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٤، ص٢٣.

قائمة المصادر

١. أبو زيد، أحمد، محمد باقر الصدر: السيرة والمسيرة، ط١، ج١، بيروت، دار العارف، ٢٠٠٧.
٢. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ط١، بيروت، طليعة النور، ١٤٢٦هـ.
٣. العلاّمة الحلي، تذكرة الفقهاء، طبعة حجرية، قم، منشورات المكتبة الرضوية.
٤. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، بيروت، دار صادر.
٥. الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ط٣، ج٢٣، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
٦. دغيم، سميح، مصطلحات الفكر العربي والإسلامي، ج٣.
٧. دغيم، سميح، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية.، ج١.
٨. حبيب، كمال، الأقلّيات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢.
٩. السيِّد، رضوان، الأمة والجماعة والسلطة، ط١، بيروت، دار إقرأ، ١٩٨٤.
١٠. الشيخ المفيد، المقنعة، ط٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠هـ.
١١. شلق، الفضل، الأمة والدولة، ط١، بيروت، دار المنتخب العربي، ١٩٩٣.
١٢. نصّار، ناصيف، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ.
١٣. النحّاس، معاني القرآن، ج١، جامعة أمّ القرى، السعودية، ١٤٩هـ.
١٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، دار صادر، بيروت.
١٥. مؤسسة أعمال الموسوعة، الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض، ١٩٩٠.
١٦. مجموعة باحثين، المواطَنة والديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤.
١٧. السيد صادق عباس الموسوي، التحديد المفاهيمي لمصطلح الأمة والمواطنة، مجلة المنهاج، العدد ٥٤، ٢٠٠٩